سعيد بن المسيب

نسبه ومولده ونشأته:

هو سيد العلماء، وشيخ الفقهاء، وإمام التابعين، العابد، الفقيه، الورع، المفسر، المعبِّر:

سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، الإمام، العلم، أبو محمد القرشي، المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه.

قال ابن حبان في الثقات: كان من سادات التابعين فقهاً وديناً وورعاً وعبادة وفضلاً، وكان أفقه أهل الحجاز، وأعبر الناس للرؤيا، ما نودي بالصلاة من أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد[1].

ولد: لسنتين مضتا من خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ، وقيل: لأربع مضين منها، بالمدينة.

رأى عمر، وسمع: عثمان، وعلياً، وزيد بن ثابت، وأبا موسى، وسعداً، وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، ومحمد بن مسلمة، وأم سلمة، وخلقاً سواهم.

وقيل: إنه سمع من عمر.

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر، ٤/ ٧٦.

obeikandl.com

وروى عن: أُبيٍّ بن كعب مرسلاً، وبلال كذلك، وسعد بن عبادة كذلك، وأبي ذر، وأبي الدرداء كذلك.

وروايته عن: علي، وسعد، وعثمان، وأبي موسى، وعائشة، وأم شريك، وابن عمر، وأبي هريرة، وابن عباس، وحكيم بن حزام، وعبد الله بن عمرو، وأبيه المسيب، وأبي سعيد: في الصحيحين.

وعن حسان بن ثابت، وصفوان بن أمية، ومعمر بن عبد الله، ومعاوية، وأم سلمة: في صحيح مسلم.

وروايته عن: جبير بن مطعم، وجابر، وغيرهما في البخاري.

وروايته عن: عمر في السنن الأربعة.

وروى أيضاً عن: زيد بن ثابت، وسراقة بن مالك، وصهيب، والضحاك بن سفيان، وعبد الرحمن بن عثمان التيمي.

وكان زوج بنت أبي هريرة، وأعلم الناس بحديثه.

كما روى عنه خلق، منهم: إدريس بن صبيح، وأسامة بن زيد الليثي، وإسماعيل بن أمية، وبشير، وعبد الرحمن بن حرملة، وعبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن، وعبد الكريم الجزري، وعبد المجيد بن سهيل، وعبيد الله بن سليمان العبدي، وعثمان بن حكيم، وعطاء الخراساني، وغيرهم.

وكان ممن برز في العلم والعمل[1].

عن سعيد بن المسيب قال: سمعت من عمر كلمة ما بقي أحد حي

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢١٩.

سمعها غيري، كان عمر حين رأى الكعبة قال: اللهم أنت السلام ومنك السلام[١].

جد سعيد بن المسيب يأتي النبي ﷺ:

عن سعيد بن المسيب بن حزن: أن جده حزناً أتى النبي ﷺ فقال: ما اسمك؟

قال: حزن.

قال: أنت سهل.

فقال: لا أغير اسماً سمانيه أبي.

قال سعيد: فما زالت تلك الحزونة فينا بعد[٢].

حادثة ذكرها كثير من أهل التاريخ، وهي باطلة:

وهي أن سعيد بن المسيب قال: أنا أصلحت بين عليٍّ وعثمان، قلت لعليٍّ: إنه أمير المؤمنين، وقلت لعثمان: إنه علي، ولو شئت أن أقول قولاً لفعلت.

وقال يحيى بن معين: سعيد بن المسيب قد رأى عمر، وكان صغيراً.

قلت ليحيى يقول: ولدت لسنتين مضتا من خلافة عمر؟ قال يحيى: ابن ثمان سنين يحفظ شيئاً؟ ثم قال: ها هنا قوم يقولون: إنه أصلح بين علي وعثمان، وهذا باطل[٣].

لباسه وهيئته:

كان ابن المسيب قد وهبه الله هيبة العلماء ووقارهم، وكان يحب أن

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢١٩، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١١٩.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر، ٤/ ٧٥، تهذيب الكمال للمزي، ١١/ ٧٢.

openkandil.com

يخرج على الناس بلباس العلماء، وزي الفقهاء؛ حتى يُعرِّف الناس أن الزهد في الدنيا إنما هو الورع والخشية لا ترك الطيبات والنعم، فكان لباسه متميزاً ومظهره أنيقاً.

يقول عمران بن عبد الله: ما أحصي ما رأيت على سعيد بن المسيب من عدة قمص الهروي، وكان يلبس هذه البرود الغالية البيض[١].

وكان يعتم بعمامة سوداء، ثم يرسلها خلفه، ويلبس إزاراً وطيلساناً وخفين.

وكانت عليه قلنسوة لطيفة بعمامة بيضاء، لها علم أحمر، يرخيها وراءه شبراً.

وعن عثيم قال: رأيت ابن المسيب يلبس في الفطر والأضحى عمامة سوداء، ويلبس عليها برنساً أحمر أرجوانياً.

وعن خالد بن إلياس قال: رأيت على سعيد قميصاً إلى نصف ساقه، وكماه إلى أطراف أصابعه، ورداء فوق القميص، خمسة أذرع وشبر.

وكان سعيد بن المسيب يلبس طيلساناً أزراره ديباج.

وقال محمد بن هلال: لم أر سعيداً لبس غير البياض.

وعن ابن المسيب: أنه كان يلبس سراويل.

وعن أبي معشر، قال: رأيت على سعيد بن المسيب الخز.

وعن محمد بن عمرو، قال: كان ابن المسيب لا يخضب.

وعن محمد بن هلال قال: رأيت سعيد بن المسيب يصفِّر لحيته.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٤١.

وعن أبي الغصن: أنه رأى سعيد بن المسيب أبيض الرأس واللحية[١].

عبادته وصلاحه:

كان ابن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ يُعدُّ من عبَّاد زمانه وصلحائهم، بل إنه سيد العابدين، وإمام الزاهدين، كثير الصلاة والتهجد، صواماً قواماً، ورعاً، تعلق قلبه بالمسجد والجماعة، فلا تفوته تكبيرة الإحرام فضلاً عن حضور الجماعة، شهد بذلك من عرفه وكان قريباً منه.

قال سعيد بن المسيب: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة ـ أي لم يصلِّ إلا في الصف الأول ـ[٢].

وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العَتمة خمسين سنة[٣].

وقال: ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة.

وعنه قال: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة، إلا وأنا في المسجد، إسناده ثابت.

وعن ابن المسيب قال: حججت أربعين حجة[٤].

وعن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيب: أنه اشتكى عينه، فقالوا: لو خرجت إلى العقيق، فنظرت إلى الخضرة، لوجدت لذلك خفة.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٣٤، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٤٣.
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٨٠.
(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي، ١/ ١٩١.
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢١٩، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٣٥.

قال: فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح[١]؟

وعن ابن حرملة: قلت لبرد مولى ابن المسيب: ما صلاة ابن المسيب في بيته؟

قال: ما أدري، إنه ليصلي صلاة كثيرة، إلا أنه يقرأ بـ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾.

وعن عاصم بن العباس الأسدي، قال: كان سعيد بن المسيب يذكر، ويخوف، وسمعته يقرأ في الليل على راحلته فيكثر، وسمعته يجهر بـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وكان يحب أن يسمع الشعر، وكان لا ينشده، ورأيته يمشي حافياً وعليه بت[٢]، ورأيته يحفي شاربه شبيهاً بالحلق، ورأيته يصافح كل من لقيه، وكان يكره كثرة الضحك.

عن داود بن أبي هند، عن سعيد: أنه كان يستحب أن يسمي ولده بأسماء الأنبياء.

وقال علي بن زيد: كان سعيد يصلي التطوع في رحله.

وعن عطاء، أن سعيد بن المسيب كان إذا دخل المسجد يوم الجمعة لم يتكلم كلاماً حتى يفرغ من صلاته وينصرف الإمام، ثم يصلي ركعات، ثم يقبل على جلسائه ويسأل[٣].

وقال يزيد بن حازم: كان سعيد بن المسيب يسرد الصوم[٤].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٧٩، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٣٢.

(٢) البت: الطيلسان من خز ونحوه، الصحاح في اللغة للجوهري، ١/ ٣١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٣٢.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٧٩، صفة الصفوة لابن الجوزي، ١/ ١٩١، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢١٩.

وعن عبد الله بن يزيد الهذلي عن سعيد بن المسيب أنه كان يصوم الدهر ويفطر أيام التشريق بالمدينة[١].

وقال ابن حرملة: حفظت صلاة ابن المسيب وعمله بالنهار، فسألت مولاه عن عمله بالليل، فأخبرني، فقال: وكان لا يدع أن يقرأ ب، ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ كل ليلة، فسألته عن ذلك فأخبرني، فقال: إن رجلاً من الأنصار صلى إلى شجرة فقرأ بـ (ص) فلما مر بالسجدة سجد وسجدت الشجرة معه فسمعها تقول: اللهم أعطني بهذه السجدة أجراً، وضع عني بها وزراً، وارزقني بها شكراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود[٢].

وعن عبد الله المزني أو المزي قال: رأيت سعيد بن المسيب صلى في المسجد ركعتين، ثم اضطجع، فجاء غلام، فقام يصلي فافتتح (المرسلات)، فقرأ وسعيد يسمع حتى إذا بلغ: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ﴾، فوثب سعيد بن المسيب، وهو يقول: اللهم لا كيد لي، ولا قوة إلا بك، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٣].

فهمه العبادة:

كثير من الناس يظنون أن العبادة إنما تنحصر بكثرة الركوع والسجود والصوم، لكن ابن المسيب بيَّن لنا هذا الأمر وأظهره من خلال بعض مواقفه.

فعن صالح بن محمد بن زائدة: أن فتية من بني ليث كانوا عباداً وكانوا يروحون بالهاجرة إلى المسجد ولا يزالون يصلون حتى يصلي

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٣٦.
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٨١.
(٣) الكنى والأسماء للدوالبي، ٥/ ٢٧.

العصر، فقال صالح لسعيد: هذه هي العبادة لو نقوى على ما يقوى عليه هؤلاء الفتيان، فقال سعيد: ما هذه العبادة، ولكن العبادة التفقه بالدين والتفكر في أمر الله تعالى.

وكان يقول: من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة[١].

وعن علي بن زيد قال: قلت لسعيد بن المسيب: يزعم قومك أن ما منعك من الحج إلا أنك جعلت لله عليك إذا رأيت الكعبة أن تدعو على ابن مروان.

قال: ما فعلت، وما أصلي صلاة إلا دعوت الله عليهم، وإني قد حججت واعتمرت بضعاً وعشرين مرة، وإنما كتبت عليَّ حجة واحدة وعمرة، وإني أرى ناساً من قومك يستدينون، فيحجون، ويعتمرون، ثم يموتون، ولا يقضى عنهم، ولجمعة أحب إلي من حجة أو عمرة تطوعا[٢].

عفته:

كان سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ إلى جانب تقواه وصلاحه وعبادته عفيف النفس، بالغ التقى، لا يقبل عطية أحد؛ ليس من باب الكبر؛ ولكنه يريد أن يعلم الناس أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن طلب الرزق لم يتعارض يوماً مع طلب العلم؛ بل إنه منهج الأنبياء وسبيل العلماء.

قال أحمد بن عبد الله: كان سعيد فقيهاً، صالحاً، لا يأخذ العطاء، له بضاعة أربعمئة دينار يتجر فيها في الزيت[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٣٥، حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٣٧٩.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٥، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٣٥.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٢٩٩، تهذيب التهذيب لابن حجر، ٤/ ٧٥.

وعن عمران بن عبد الله، قال: كان سعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئاً لا ديناراً ولا درهماً ولا شيئاً[١].

عن ابن حرملة قال: أدرك سعيد بن المسيب رجلاً من قريش ومعه مصباح في ليلة مطيرة فسلم عليه، وقال: كيف أمسيت يا أبا محمد؟ قال: الحمد الله.

فلما بلغ الرجل منزله دخل وقال: نبعث معك بالمصباح، قال: لا حاجة لي بنورك، نور الله أحب إلي من نورك[٢].

طلبه العلم:

إذا ذكر العلم والعلماء فاق ابن المسيب أقرانه، وبز إخوانه، لقد بلغ بذلك القدح المعلى، وأخذ النصيب الأوفر حتى غدا جبلاً في رأسه نار، فقصده الفقهاء، وجلس بين يديه طلبة العلم والعلماء، وشدت إليه الرحال، ووجهت إليه المسائل العضال.

قال ابن المسيب: إنْ كنتُ لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد[٣].

وقال: سمعت من عمر كلمة ما بقي أحد سمعها غيري.

قال: سمعت عمر على المنبر، وهو يقول: لا أجد أحداً جامع فلم يغتسل، أنزل أو لم ينزل، إلا عاقبته.

وعن الزهري، وسئل عمَّن أخذ سعيد بن المسيب علمه؟

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٨٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢/ ١٣٦، حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٨١.

(٣) تهذيب التهذيب للمزي، ١١/ ٧٠، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٣، تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٢٩٨.

openkandil.com

فقال: عن زيد بن ثابت، وجالس: سعداً، وابن عباس، وابن عمر.

ودخل على أزواج النبي ﷺ: عائشة، وأم سلمة.

وسمع من عثمان، وعلي، وصهيب، ومحمد بن مسلمة.

وجل روايته المسندة عن أبي هريرة، وقد كان زوج ابنته.

وسمع من: أصحاب عمر وعثمان.

وكان يقال: ليس أحد أعلم بكل ما قضى به عمر وعثمان منه[١].

قال سلام: يقول عمران: والله ما أراه مر على أذنه شيء قط إلا وعاه قلبه ـ يعني: ابن المسيب ـ وإني أرى أن نفس سعيد كانت أهون عليه في ذات الله من نفس ذباب[٢].

علمه بالقضاء والنسب وشهادة ابن عمر بعلمه:

عن سعيد بن إبراهيم، سمع ابن المسيب يقول: ما أحد أعلم بقضاء قضاه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، ولا عمر مني[٣].

وكان من أعلم الناس بالنسب هو وابنه محمد[٤].

وعن نافع: أن ابن عمر ذكر سعيد بن المسيب، فقال: هو ـ والله ـ أحد المفتين[٥].

وسئل ابن عمر عن شيء فقال: ائت سعيد بن المسيب، فسله، ثم

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٣.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٢٢، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٥.

(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي، ١/ ٧٥، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٤/ ٦٠، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٠، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢/ ٣٧٩، المعرفة والتاريخ للفسوي، ١/ ٦٩.

(٤) طبقات النسابين لأبي زيد، ١/ ٢٢٢.

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٤/ ٦٠، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٠.

أخبرنا بالمسألة، فتوجه الرجل، فسأل سعيداً فأفتاه بمثل ما أخبرنا ابن عمر، ثم رجع إليه فأخبره أنه أفتاه بمثل ما قال ابن عمر، فقال ابن عمر: قد أعلمتكم أنه أحد العلماء[١].

ثناء العلماء عليه:

قال قتادة، ومكحول، والزهري، وآخرون ـ واللفظ لقتادة ـ: ما رأيت أعلم من سعيد بن المسيب.

وقال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أحداً أوسع علماً من ابن المسيب، هو عندي أجل التابعين[٢].

وقال عثمان الحارثي النحاس: سمعت أحمد بن حنبل يقول: أفضل التابعين سعيد بن المسيب.

فقال له رجل: فعلقمة والأسود؟ فقال: سعيد بن المسيب، وعلقمة والأسود[٣].

وقال أبو طالب: قلت لأحمد بن حنبل: سعيد بن المسيب؟ فقال: ومَن مثل سعيد بن المسيب؟!، ثقة من أهل الخير. قلت: فسعيد عن عمر حجة؟ فقال: هو عندنا حجة، قد رأى عمر وسمع منه، إذا لم يقبل سعيد عن عمر، فمن يقبل؟!

وقال يحيى بن معين: قد رأى عمر وكان صغيراً.

قال الإمام النووي: وأما قول الإمام أحمد بن حنبل وغيره: أن سعيد بن المسيب أفضل التابعين، فمرادهم أفضلهم في علوم الشرع، وإلا

---

(١) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ١/ ٤٥.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٢، تهذيب التهذيب لابن حجر، ٤/ ٧٥.

(٣) تهذيب التهذيب للمزي، ١١/ ٧٣.

ففي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن خير التابعين رجل يقال له: أويس، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم**»[١].

فقيه الفقهاء وعالم العلماء:

قال قتادة: ما رأيت أحداً أعلم بحلال الله وحرامه من سعيد بن المسيب.

وقال يحيى بن سعيد: كان سعيد بن المسيب لا يكاد يفتي فتيا ولا يقول شيئاً إلا قال: اللهم سلمني وسلم مني[٢].

وعن قدامة بن موسى، قال: كان ابن المسيب يفتي والصحابة أحياء.

وعن محمد بن يحيى بن حبان، قال: كان المقدم في الفتوى في دهره سعيد بن المسيب، ويقال له: فقيه الفقهاء.

عن مكحول، قال: سعيد بن المسيب عالم العلماء.

وقال علي بن الحسين: ابن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار، وأفقههم في رأيه.

وعن ميمون بن مهران، قال: أتيت المدينة، فسألت عن أفقه أهلها، فدفعت إلى سعيد بن المسيب.

قلت: هذا يقوله ميمون مع لقياه لأبي هريرة، وابن عباس.

وعن شهاب بن عباد العصري قال: حججت، فأتينا المدينة، فسألنا عن أعلم أهلها، فقالوا: سعيد[٣].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٩٨.

(٣) تاريخ أبو زرعة الدمشقي، ١/ ٢٥، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٤، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٢٢.

obeikandl.com

وكانت فتيا ابن شهاب تعود إلى قول سالم وسعيد وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وهو المقدم فيهم من أئمة المسلمين في الحديث والفقه[١].

وعن عبد الله بن المبارك قال: كان فقهاء أهل المدينة الذين كانوا يصدرون عن رأيهم سبعة: سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وسالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد بن ثابت.

قال: وكانوا إذا جاءتهم المسألة دخلوا جميعاً فنظروا فيها، ولا يقضي القاضي حتى ترفع إليهم فينظرون فيها فيصدرون[٢].

وقد نظمهم بعض الشعراء:

ألا كل من لا يقتدي بأئمةٍ فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم: عبيد الله، عروة، قاسم سعيد، أبو بكر، سليمان، خارجة[٣]

علماء عصره يدلُّون طلاب العلم على سعيد:

عن ابن شهاب: أنه كان يجالس عبد الله بن ثعلبة بن صغير يتعلم منه الأنساب وغير ذلك، فسأله يوماً عن شيء من الفقه فقال: إن كنت تريد هذا فعليك بهذا الشيخ سعيد بن المسيب. قال ابن شهاب: فجالسته سبع حجج، وأنا لا أظن أن أحداً عنده علم غيره.

وعن عطاف بن خالد عن رجل من صلحاء أهل الشام، قال: سألت القاسم بن محمد عن شيء، فقال: هل سألت أحداً غيري؟ قلت: نعم، سعيد بن المسيب.

---

(١) التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح للباجي، ٣/ ١٠٨٢.

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي، ١/ ٩٧.

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري، ١/ ٩٠.

obeikandl.com

فقال: سعيد أفقهنا وأخيرنا.

وعن قتادة قال: ما رأيت أعلم من سعيد بن المسيب ولا أجدر أن يتبع: فلان عن فلان ـ يعني يسند كل حديث ـ.

وقال محمد بن إسحاق: سمعت مكحولاً يقول: طبقت الأرضين كلها في طلب العلم فما لقيت أحداً أعلم من سعيد بن المسيب.

وعن الأوزاعي قال: سئل مكحول والزهري: من أفقه من أدركتما؟ قالا: سعيد بن المسيب.

وقال ابن شهاب: كنت أطلب العلم من ثلاثة: سعيد بن المسيب، وكان أفقه الناس[١].

وقال قتادة: ما رأيت أحداً قط أعلم بالحلال والحرام من سعيد بن المسيب[٢].

وقال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أحداً أوسع علماً من سعيد بن المسيب، نظرت فيما روى الزهري وقتادة ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن حرملة، فإذا كل واحد منهم لا يكاد يروي ما يرويه الآخر ولا يشبهه، فعلمت أن ذلك لسعة علمه، وكثرة روايته، وإذا قال سعيد: مضت السنة، فحسبك به.

قال علي: وهو عندي أجل التابعين[٣].

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٤/ ٦١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ٤٧٢، مغاني الأخيار للعيني، ١/ ٤٣١، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٤/ ٦١.

(٣) تهذيب الكمال للمزي، ١١/ ٧٣، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢/ ٣٨١.

obeikandl.com

الزهري يتحول إلى حلقة سعيد:

عن الزهري قال: كنت أجالس عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري أتعلم منه نسب قومي، فأتاه رجل جاهل يسأله عن المطلقة واحدة ثنتين ثم تزوجها رجل ودخل بها ثم طلقها على كم ترجع إلى زوجها الأول؟ قال: لا أدري، اذهب إلى ذلك الرجل، وأشار له إلى سعيد بن المسيب، قال: فقلت في نفسي: هذا أقدم من سعيد بدهر أخبرني أنه عقل رسول الله، ﷺ، مج على وجهه، فقمت فاتبعت السائل حتى سأل سعيد بن المسيب فلزمت سعيداً، فكان هو الغالب على علم المدينة والمستفتى هو وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسليمان بن يسار، وكان من العلماء، وعروة بن الزبير بحر من البحور، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، فمثل ذلك أبو سلمة بن عبد الرحمن، وخارجة بن زيد بن ثابت، والقاسم، وسالم، فصارت الفتوى إلى هؤلاء وصارت من هؤلاء إلى سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن وسليمان بن يسار.

والقاسم بن محمد كف عن الفتوى إلا أن لا يجد بداً، وكان رجال من أشباههم وأسن منهم من أبناء الصحابة وغيرهم ممن أدركت ومن المهاجرين والأنصار كثير بالمدينة يسألون ولا ينصبون أنفسهم هيئة ما صنع هؤلاء، وكان لسعيد بن المسيب عند الناس قدر كبير عظيم الخصال ورع يابس، ونزاهة، وكلام بحق عند السلطان وغيرهم، ومجانبة السلطان، وعلم لا يشاكله علم أحد، ورأي بعد صليب ونعم العون الرأي الجيد، وكان ذلك عند سعيد بن المسيب رحمه الله من رجل فيه عزة لا تكاد تراجع إلا إلى محك، ما استطعت أن أواجهه بمسألة حتى أقول: قال فلان كذا وكذا، وقال فلان كذا وكذا، فيجيب حينئذ[1].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢/ ٣٨٣.

سعيد يعرف للعلم هيبته وقدره:

عن عبد الرحمن بن حرملة قال: ما كان إنسان يجترئ على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير.

وعن مالك أن رجلاً جاء إلى سعيد بن المسيب ـ وسعيد مريض ـ فسأله عن حديث وهو مضطجع، فجلس فحدثه.

فقال له ذلك الرجل: وددت أنك لم تتعنَّ، فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع.

وعن مالك قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: ما كان عالم بالمدينة إلا يأتيني بعلمه وأوتى بما عند سعيد بن المسيب[١].

من أغرب مواقف طلب العلم:

قال أبو المليح الرقي: حدثني غير واحد أن عبد الملك ضرب سعيد بن المسيب خمسين سوطاً، وأقامه بالحرة وألبسه تبان شعر، فقال سعيد: لو علمت أنهم لا يزيدوني على الضرب ما لبسته؛ إنما تخوفت من أن يقتلوني، فقلت: تبان أستر من غيره.

وعن قتادة، قال: أتيت سعيد بن المسيب، وقد ألبس تبان شعر، وأقيم في الشمس، فقلت لقائدي: أُدنني منه. فأدناني، فجعلت أسأله خوفاً من أن يفوتني، وهو يجيبني حسبة، والناس يتعجبون[٢].

يقول الشيخ علي الطنطاوي معقباً على هذا الموقف: إن قتادة أقبل عليه وهو يضرب، فقال: إني أخاف أن يموت، ويذهب علمه، وإني أحب

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي، ١/ ١٩١، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢/ ٣٨٢.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٣٢.

obeikandl.com

أن أسأله عن مسائل. فتركوه يسأله وراح سعيد يجيبه ويناقشه والدم يسيل من ظهره.

فما دريت لما قرأت الخبر، أأعجب من حرص قتادة على العلم، وأنه لم يبال في سبيله بهذه المجاملات؟! أم من وقار سعيد للعلم، وأنه لم يحفل بالأذى في سبيله؟ أم من هؤلاء الجلادين الذين يتركون ما هم فيه، ويصغون إلى هذه المناقشة الغريبة؟

تصوروا لو أن أعلم العلماء، وأوسعهم صدراً كان في هذا المقام، وجاء من يسأله![1].

وقفة مع مراسيل سعيد بن المسيب:

كثيرا ما اشتهر على ألسنة الفقهاء والمحدثين بأن مراسيل[2] سعيد بن المسيب حجة عند الإمام الشافعي، لكن الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ بين وجه الحق في هذه المسألة فقال:

وأما قول أصحابنا المتأخرين: مراسيل سعيد بن المسيب حجة عند الشافعي، فليس على إطلاقه على المختار، وإنما قال الشافعي، إرسال ابن المسيب عندنا حسن.

ولأصحابنا المتقدمين فيها وجهان مشهوران:

أحدهما: أنها حجة مطلقة، قالوا: لأنها فُتشت فوجدت مسندة.

والثاني: وهو الصحيح. واختاره المحققون: إنها كغيرها من مراسيل كبار التابعين، فإن اعتضدت بمسند أو بمرسل من جهة أخرى، أو قول بعض الصحابة أو أكثر الفقهاء بعدهما، كانت حجة عند الشافعي، وإلا

---

(١) رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي، ص١٢٠.

(٢) الحديث المرسل: هو الذي رفعه التابعي للنبي ﷺ دون ذكر الصحابي.

فلا؛ لأنه وجد فيها ما ليس مسنداً بحال، كذا ذكره البيهقي، والخطيب البغدادي، وغيرهما من الحفاظ المتقنين(١).

مكانته عند الأمراء وقدره عند العلماء:

عن مالك، قال: كان عمر بن عبد العزيز لا يقضي بقضية ـ يعني: وهو أمير المدينة ـ حتى يسأل سعيد بن المسيب، فأرسل إليه إنساناً يسأله، فدعاه، فجاء.

فقال عمر له: أخطأ الرسول، إنما أرسلناه يسألك في مجلسك.

وكان عمر يقول: ما كان بالمدينة عالم إلا يأتيني بعلمه، وكنت أوتى بما عند سعيد بن المسيب(٢).

وقال قتادة: كان الحسن إذا أشكل عليه شيء كتب إلى سعيد بن المسيب(٣).

وعن مكحول قال: لما مات سعيد بن المسيب استوى الناس، ما كان أحد يأنف أن يأتي إلى حلقة سعيد بن المسيب، ولقد رأيت فيها مجاهداً وهو يقول: لا يزال الناس بخير ما بقي بين أظهرهم(٤).

وقال ابن شهاب: ما صبر أحد على العلم صبري ولا نشره أحد نشري، فأما عروة فكان بئراً لا تكدره الدلاء، وأما سعيد بن المسيب فنصب نفسه للناس فذهب ذكره كل مذهب.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٣٠٠.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٥.
(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر، ٤/ ٧٦.
(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢/ ٣٨٢.

وعن الليث قال: كان أبناء أصحاب النبي ﷺ يجالسون سعيد بن المسيب فلا يسأل أحد منهم عن شيء إلا أن يسأل عن شيء فيحدثهم به[١].

وعن سعيد بن عبد العزيز قال: كان العلماء: معاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، وسلمان، وعبد الله بن سلام.

ثم كان العلماء بعد هؤلاء: زيد بن ثابت.

ثم كان بعد زيد بن ثابت: ابن عمر، وابن عباس.

ثم كان بعدهم سعيد بن المسيب[٢].

وعن مالك أن القاسم بن محمد كان يسأل عن الشيء فيقول للذي يسأله: من سألت؟ فيقول الرجل: سألت عروة بن الزبير وسألت فلاناً وسألت فلاناً، فيقول له القاسم: هل سألت سعيد بن المسيب؟ فيقول: نعم. فيقول: ما قال؟ فيقول: قال كذا وكذا. فيقول له القاسم: فأطعه، فذلك سيدنا وأعلمنا، ثم ذكر مالك فضل القاسم فقال: وكان القاسم من فقهاء هذه الأمة.

وعن موسى بن أبي معبد قال: جئت القاسم وسالم أسألهما عن شيء، فقالا لي: اذهب إلى سعيد بن المسيب فسله، ثم أتنا فأخبرنا. فذهبت إلى سعيد، ثم أتيت القاسم وسالماً فأخبرتهما فقالا: ذاك رأينا.

وعن محمد بن سليمان المرادي عن شيخ من أهل المدينة يقال له أبو إسحق قال: كنت أرى الرجل في ذلك الزمان، وإنه ليدخل المسجد يسأل

---

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي، ١/ ٩٧.

(٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ١/ ٤٥.

عن الشيء من فقه، قال زيد: فيدفعه الناس من مجلس إلى مجلس حتى يدفع إلى مجلس ابن المسيب[١].

خصه الله بالمدينة:

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما مات العبادلة ـ عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير ـ صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي، فكان فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح، وفقيه أهل اليمن طاوس، وفقيه أهل اليمامة يحيى بن أبي كثير، وفقيه أهل البصرة الحسن، وفقيه أهل الشام مكحول، وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني، إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقرشي، فكان فقيه أهل المدينة سعيد بن المسيب غير مدافع[٢].

موقف لسعيد ممن سب الصحابة:

عن علي بن زيد، قال: قال لي سعيد بن المسيب: قل لقائدك يقوم، فينظر إلى وجه هذا الرجل وإلى جسده. فقام وجاء، فقال: رأيت وجه زنجي، وجسده أبيض. فقال سعيد: إن هذا سب هؤلاء: طلحة، والزبير، وعلياً ـ رضي الله عنهم ـ فنهيته، فأبى، فدعوت الله عليه، قلت: إن كنت كاذباً، فسود الله وجهك. فخرجت بوجهه قرحة، فاسود وجهه[٣].

إن استطعت أن تستره بثوبك فافعل:

عن ابن حرملة قال: خرجت إلى الصبح فوجدت سكران فلم أزل أجره حتى أدخلته منزلي. قال فلقيت سعيد بن المسيب فقلت: لو أن رجلاً

---

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي، ١/ ٩٦.

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي، ١/ ٥٨، المنتظم لابن الجوزي، ٢/ ٣٢٠.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٤٢.

وجد سكران أيدفعه إلى السلطان فيقيم عليه الحد؟ قال: فقال لي: إن استطعت أن تستره بثوبك فافعل.

قال: فرجعت إلى البيت فإذا الرجل قد أفاق، فلما رآني عرفت فيه الحياء، فقلت: أما تستحيي؟ لو أُخذت البارحة لحُددتَ، فكنت في الناس مثل الميت لا تجوز لك شهادة. فقال: والله لا أعود له أبداً[1].

سعيد يزوج ابنته على درهمين بعد أن رفض تزويجها لابن الخليفة:

قال ابن أبي وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أياماً، فلما جئته، قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي، فاشتغلت بها. فقال: ألا أخبرتنا، فشهدناها. ثم قال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتفعل؟ قال: نعم. ثم تحمد، وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين ـ أو قال: ثلاثة ـ فقمت، وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر فيمن أستدين.

فصليت المغرب، ورجعت إلى منزلي، وكنت وحدي صائماً، فقدمت عشائي أفطر، وكان خبزاً وزيتاً، فإذا بابي يقرع. فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد.

ففكرت في كل من اسمه سعيد إلا ابن المسيب، فإنه لم يُر أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجت، فإذا سعيد، فظننت أنه قد بدا له.

فقلت: يا أبا محمد، ألا أرسلت إلي فآتيك؟ قال: لا، أنت أحق أن تؤتى، إنك كنت رجلاً عزباً، فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٣٦.

وهذه امرأتك. فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها، فدفعها في الباب، ورد الباب.

فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم وضعت القصعة في ظل السراج لكي لا تراه، ثم صعدت السطح، فرميت الجيران، فجاؤوني، فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتهم، ونزلوا إليها، وبلغ أمي، فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام. فأقمت ثلاثاً، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج. فمكثت شهراً لا آتي سعيد بن المسيب، ثم أتيته وهو في حلقته، فسلمت، فرد علي السلام، ولم يكلمني حتى تقوض المجلس. فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: خير يا أبا محمد، على ما يحب الصديق، ويكره العدو. قال: إن رابك شيء، فالعصا. فانصرفت إلى منزلي، فوجه إلي بعشرين ألف درهم.

قال أبو بكر بن أبي داود: ابن أبي وداعة هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة[١].

قلت: هو سهمي، مكي، روى عن: أبيه المطلب؛ أحد مسلمة الفتح، وعنه: ولده؛ جعفر بن كثير، وابن حرملة[٢].

قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه،

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان، ٢/ ٣٧٥، المنتظم لابن الجوزي، ٢/ ٣٢٢، حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٨٢، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٣٤.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٣٤.

فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مئة سوط في يوم بارد، وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف[١].

محنته مع عامل ابن الزبير:

استعمل ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري على المدينة، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير، فقال سعيد بن المسيب: لا، حتى يجتمع الناس. فضربه ستين سوطاً، فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إلى جابر يلومه، ويقول: ما لنا ولسعيد، دعه.

وعن عبد الواحد بن أبي عون، قال: كان جابر بن الأسود ـ عامل ابن الزبير على المدينة ـ قد تزوج الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة، فلما ضرب سعيد بن المسيب، صاح به سعيد والسياط تأخذه: والله ما ربعت على كتاب الله، وإنك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة، وما هي إلا ليال، فاصنع ما بدا لك، فسوف يأتيك ما تكره. فما مكث إلا يسيراً حتى قتل ابن الزبير[٢].

بين عبد الملك بن مروان وسعيد:

قدم عبد الملك بن مروان المدينة، فامتنعت منه القائلة ـ نوم القيلولة ـ واستيقظ، فقال لحاجبه: انظر، هل في المسجد أحد من حداثنا؟

فخرج، فإذا سعيد بن المسيب في حلقته، فقام حيث ينظر إليه، ثم غمزه، وأشار إليه بأصبعه، ثم ولى، فلم يتحرك سعيد. فقال: لا أراه فطن. فجاء، ودنا منه، ثم غمزه، وقال: ألم ترني أشير إليك؟ قال: وما حاجتك؟ قال: أجب أمير المؤمنين. فقال: إليّ أرسلك؟ قال: لا،

---

(١) المنتظم لابن الجوزي، ٢/ ٣٢٢، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٣٤.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٩، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٢٦.

ولكن قال: انظر بعض حداثنا، فلم أر أحداً أهيأ منك. قال: اذهب، فأعلمه أني لست من حداثه. فخرج الحاجب، وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً. وذهب، فأخبر عبد الملك، فقال: ذاك سعيد بن المسيب، فدعه.

وعن عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي، قال: حج عبد الملك بن مروان، فلما قدم المدينة، ووقف على باب المسجد، أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلاً يدعوه ولا يحركه. فأتاه الرسول، وقال: أجب أمير المؤمنين، واقف بالباب يريد أن يكلمك. فقال: ما لأمير المؤمنين إلي حاجة، وما لي إليه حاجة، وإن حاجته لي لغير مقضية. فرجع الرسول، فأخبره، فقال: ارجع، فقل له: إنما أريد أن أكلمك، ولا تحركه. فرجع إليه، فقال له: أجب أمير المؤمنين. فرد عليه مثل ما قال أولاً. فقال الرسول: لولا أنه تقدم إلي فيك، ما ذهبت إليه إلا برأسك، يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول مثل هذا!، فقال: إن كان يريد أن يصنع بي خيراً، فهو لك، وإن كان يريد غير ذلك، فلا أحل حبوتي حتى يقضي ما هو قاض. فأتاه، فأخبره، فقال: رحم الله أبا محمد، أبى إلا صلابة.

وزاد عمرو بن عاصم في حديثه بهذا الإسناد: فلما استخلف الوليد، قدم المدينة، فدخل المسجد، فرأى شيخاً قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ قالوا: سعيد بن المسيب. فلما جلس، أرسل إليه، فأتاه الرسول، فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: لعلك أخطأت باسمي، أو لعله أرسلك إلى غيري. فرد الرسول، فأخبره، فغضب، وهم به. قال: وفي الناس يومئذ تقية، فأقبلوا عليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، فقيه المدينة، وشيخ قريش، وصديق أبيك، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه. فما زالوا به حتى أضرب عنه.

وعن عمران بن عبد الله ـ من أصحاب سعيد بن المسيب ـ قال: ما علمت فيه ليناً. قلت: كان عند سعيد بن المسيب أمر عظيم من بني أمية وسوء سيرتهم، وكان لا يقبل عطاءهم[١].

سعيد لا يبايع بيعتين:

عن عبد الله بن جعفر، وغيره: أن عبد العزيز بن مروان توفي بمصر سنة أربع وثمانين، فعقد عبد الملك لابنيه: الوليد وسليمان بالعهد، وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان، وعامله يومئذ على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي.

فلما كانت بيعة سليمان بن عبد الملك مع بيعة الوليد كره سعيد بن المسيب أن يبايع بيعتين، فكتب صاحب المدينة إلى عبد الملك بن مروان يخبره أن سعيد بن المسيب كره أن يبايع لهما جميعاً. فكتب عبد الملك إلى صاحب المدينة: وما كان حاجتك إلى رفع هذا عن سعيد بن المسيب، ما كنا نخاف منه، فأما إذا ظهر ذلك وانتشر في الناس فادعه إلى ما دخل فيه من دخل في هذه البيعة، فإن أبى فاجلده مئة سوط، واحلق رأسه ولحيته، وألبسه ثياباً من شعر، وأوقفه على الناس في سوق المسلمين لئلا يجترىء علينا غيره، فلما علم من كان من قريش سألوا الوالي أن لا يعجل عليه حتى يخوفوه بالقتل فعسى أن يجيب، فأرسلوا مولى له كان في الحرس، فقالوا: اذهب فأخفه بالقتل، وأخبره أنه مقتول لعل ذلك يخيفه حتى يدخل فيما دخل فيه الناس. فجاءه مولاه ـ وهو على مسجده يصلي ـ فبكى المولى، فقال له سعيد: ما يبكيك ويحك؟ قال: يبكيني ما يراد بك،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٢٥، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٦، حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٨٣، المعرفة والتاريخ للفسوي، ١/ ٩٨.

قد جاء كتاب فيك إن لم تبايع قتلت، فجئتك لتتطهر وتلبس ثياباً طاهرة وتفرغ من عهدك. قال: ويحك قد وجدتني أصلي على مسجدي، فتراني كنت أصلي ولست بطاهر وثيابي غير طاهرة، وأما ما ذكرت من العهد فإني أضلُّ ممَّن أرسلك إنْ كنتُ بت ليلةً ولم أفرغ من عهدي، فإذا شئت فإني لم أكن لأبايع بيعتين في الإسلام بعد حديث سمعته عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا كانتا بيعتين فأقيلوا الحدثى منهما**»، فانطلق معه. فلما أتى الوالي، دعوه، فأبى أن يجيب، فأمره بلبس ثيابٍ من شعر، وأمره بالتجريد، فجلد مئة سوط وحلق رأسه ولحيته ووقف، فقال: لو كنت أعلم أنه ليس شيء إلا هذا ما نزعت ثيابي طائعاً ولا أجبت إلى ذلك[١].

وعن عبد الرحمن بن عبد القاري قال لسعيد بن المسيب حين قدم للبيعة للوليد وسليمان المدينة من بعد أبيهما: إني مشير عليك بخصال ثلاث. قال: وما هن؟ قال: يغير لك مقامك فأنك تقوم حيث يراك هشام بن إسماعيل. قال: ما كنت لأترك مقاماً أقومه منذ أربعين سنة. قال: أو تخرج معتمراً. قال: ما كنت لأنفق مالي وأجهد بدني في شيء ليس فيه نية. قال: فما الثالثة؟ فقال: تبايع. قال: أرأيت إن كان الله أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما علي ـ قال: وكان أعمى ـ[٢].

وعن عبد الله بن يزيد الهذلي، قال: دخلت على سعيد بن المسيب السجن، فإذا هو قد ذبحت له شاة، فجعل الإهاب على ظهره، ثم جعلوا

---

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي، ١/ ٩٨، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٢٩، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٢٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٢٧.

له بعد ذلك قضباً رطباً. وكان كلما نظر إلى عضديه، قال: اللهم انصرني من هشام[١].

إنما هي أربع بعد أربع:

عن مصعب بن عبد الله، قال: كان سعيد بن المسيب لا يقبل بوجهه على هشام بن إسماعيل إذا خطب يوم الجمعة، فأمر به هشام بعض أعوانه يعطفه عليه إذا خطب فأهوى العون يعطفه فأبى عليه فأخذه حتى عطفه، فصاح سعيد؛ يا هشام إنما هي أربع بعد أربع. فلما انصرف هشام قال: ويحكم جن سعيد، فسئل سعيد: أي شيء أربع بعد أربع، سمعت في ذلك شيئاً؟ قال: لا، فقيل: ما أردت بقولك؟ قال: إن جاريتي لما أردت المسجد، قالت لي: إني رأيت هذه الليلة رؤيا فلا تخرج حتى أقصها عليك وتعبرها لي، رأيت كأن موسى غطس عبد الملك في البحر ثلاث غطسات، فمات في الثالثة، فأولت أن عبد الملك مات، وذلك أن موسى بعث على الجبارين بقتلهم، وعبد الملك جبار هذه الأمة. قال: فلم قلت أربع بعد أربع؟ قال: مسافة مسير الرسول من دمشق إلى المدينة بالخبر. فمكثوا ثماني ليال ثم جاء رسول بموت عبد الملك[٢].

ما بعد المحنة:

عن سفيان، عن رجل من آل عمر، قال: قلت لسعيد بن المسيب: ادع على بني أمية، قال: اللهم أعز دينك، وأظهر أولياءك، واخز أعداءك في عافية لأمة محمد ﷺ.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٢٧، المنتظم لابن الجوزي، ٢/ ٣٢١.
(٢) المنتظم لابن الجوزي، ٢/ ٣٢١.

وعن أبي يونس القوي، قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا سعيد بن المسيب جالس وحده، فقلت: ما شأنه؟ قيل: نُهي أن يجالسه أحد.

وعن قتادة: أن ابن المسيب كان إذا أراد أحد أن يجالسه، قال: إنهم قد جلدوني، ومنعوا الناس أن يجالسوني.

وعن ابن المسيب، قال: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكيلا تحبط أعمالكم[١].

وعن طلحة بن محمد عن أبيه قال: دخل على سعيد بن المسيب السجن أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فجعل يكلم سعيداً ويقول له: إنك خرقت به. فقال: يا أبا بكر اتق الله وآثره على ما سواه. قال: فجعل أبو بكر يردد عليه: إنك خرقت به ولم ترفق. فجعل سعيد يقول: إنك والله أعمى البصر أعمى القلب. قال فخرج أبو بكر من عنده، وأرسل إليه هشام بن إسماعيل فقال: هل لان سعيد بن المسيب منذ ضربناه؟ فقال أبو بكر: والله ما كان أشد لساناً منه منذ فعلت به ما فعلت، فاكفف عن الرجل.

وجاء هشامَ بن إسماعيل كتاب من عبد الملك بن مروان يلومه في ضربه سعيد بن المسيب ويقول: ما ضرك لو تركت سعيداً ووطئت ما قال؟ وندم هشام بن إسماعيل على ما صنع بسعيد فخلى سبيله.

قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أسلم أبو أمية مولى بني مخزوم وكان ثقة قال: صنعت ابنة سعيد بن المسيب طعاماً كثيراً حين حبس فبعثت به إليه، فلما جاء الطعام دعاني سعيد فقال: اذهب إلى ابنتي فقل لها: لا تعودي لمثل هذا أبداً، فهذه حاجة هشام بن إسماعيل يريد أن

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٣٠.

يذهب مالي فأحتاج إلى ما في أيديهم، وأنا لا أدري ما أحبس، فانظري إلى القوت الذي كنت آكل في بيتي فابعثي إليَّ به. فكانت تبعث إليه بذلك، وكان يصوم الدهر[١].

موقف لسعيد مع الحجاج:

قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يحركك ولا يؤذيك؟ قال: والله لا أدري إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد فصلى صلاة فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها فأخذت كفاً من حصى فحصبته بها، زعم أنَّ الحجاج قال: ما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة[٢].

قلة ما نقل عنه في التفسير وكثرة تأويله للتعبير:

سئل سعيد بن المسيب عن آية، فقال سعيد: لا أقول في القرآن شيئاً. قلت: ولهذا قل ما نقل عنه في التفسير[٣].

قال الواقدي: كان سعيد بن المسيب من أعبر الناس للرؤيا، أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأخذته أسماء عن أبيها.

ثم ساق الواقدي عدة منامات، منها:

عن عمر بن حبيب بن قليع، قال: كنت جالساً عند سعيد بن المسيب يوماً، وقد ضاقت بي الأشياء، ورهقني دين، فجاءه رجل، فقال: رأيت كأني أخذت عبد الملك بن مروان، فأضجعته إلى الأرض، وبطحته، فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد. قال: ما أنت رأيتها؟ قال: بلى. قال: لا أخبرك أو تخبرني. قال: ابن الزبير رآها، وهو بعثني إليك. قال: لئن

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٢٧.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٨١، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٢٩.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٤٢، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٣٧.

صدقت رؤياه، قتله عبد الملك، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة. قال: فرحلت إلى عبد الملك بالشام، فأخبرته، فسر، وسألني عن سعيد وعن حاله، فأخبرته، وأمر بقضاء ديني، وأصبت منه خيراً.

وعن إسماعيل بن أبي حكيم، قال: قال رجل: رأيت كأن عبد الملك بن مروان يبول في قبلة مسجد النبي ﷺ أربع مراراً، فذكرت ذلك لسعيد بن المسيب، فقال: إن صدقت رؤياك، قام فيه من صلبه أربعة خلفاء.

وقال رجل لابن المسيب: رأيت أني أبول في يدي، فقال: اتق الله، فإن تحتك ذات محرم. فنظر، فإذا امرأة بينهما رضاع.

وجاءه آخر، فقال: أراني كأني أبول في أصل زيتونة. فقال: إن تحتك ذات رحم. فنظر، فوجد كذلك.

وقال له رجل: إني رأيت كأن حمامة وقعت على المنارة. فقال: يتزوج الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر.

وعن ابن المسيب، قال: الكبل في النوم ثبات في الدين.

قيل له: يا أبا محمد، رأيت كأني في الظل، فقمت إلى الشمس. فقال: إن صدقت رؤياك، لتخرجن من الإسلام.

قال: يا أبا محمد، إني أراني أخرجت حتى أدخلت في الشمس، فجلست. قال: تكره على الكفر. قال: فأسر، وأكره على الكفر، ثم رجع، فكان يخبر بهذا بالمدينة.

وعن عمران بن عبد الله، قال: رأى الحسن بن علي كأن بين عينيه مكتوب: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فاستبشر به، وأهل بيته. فقصّوها على

سعيد بن المسيب، فقال: إن صدقت رؤياه، فقلما بقي من أجله. فمات بعد أيام[١].

عن مسلم الخياط قال: جاء رجل إلى ابن المسيب فقال: إني أرى أن تيساً أقبل يشتد من الثنية. فقال: اذبح اذبح. قال: ذبحت، قال: مات ابن أم صلاء، فما برح حتى جاءه الخبر أنه قد مات، قال محمد بن عمر: وكان ابن أم صلاء رجلاً من موالي أهل المدينة يسعى بالناس.

وعن أسد بن عبد العزى قال: طلبت الولد فلم يولد لي، فقلت لابن المسيب: إني أرى أنه طرح في حجري بيض. فقال ابن المسيب: الدجاج عجمي فاطلب سبباً إلى العجم. قال: فتسريت فولد لي وكان لا يولد لي .

وعن عثيم بن نسطاس قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول للرجل إذا رأى الرؤيا وقصها عليه يقول: خيراً رأيت[٢].

من كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن سفيان بن عيينة قال: قال سعيد بن المسيب: إن الدنيا نذالة هي إلى كل نذلٍ أميل، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها ووضعها في غير سبُلها .

وعن مالك بن أنس قال: قال سعيد ابن المسيب: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيبٌ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه: من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٣٧، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٤١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٢٥.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي، ١/ ١٩١.

obeikandl.com

وعن سعيد بن المسيب، قال: لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يعطي منه حقه ويكف به وجه عن الناس.

وقال: لا خير فيمن لا يحب هذا المال، يصل به رحمه ويؤدي به أمانته، ويستغني به عن خلق ربه[١].

و قال: ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء.

ثم قال لنا سعيد ـ وهو ابن أربع وثمانين سنة، وقد ذهبت إحدى عينيه، وهو يعشو بالأخرى ـ: ما شيء أخوف عندي من النساء[٢].

و عن ابن حرملة، قال: قال سعيد: لا تقولوا مصيحف، ولا مسيجد، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل[٣].

وعن يحيى بن سعيد: أن ابن المسيب خلَّف مئة دينار.

وعن عباد بن يحيى بن سعيد: أن ابن المسيب خلف ألفين أو ثلاثة آلاف.

وعن ابن المسيب، قال: ما تركتها إلا لأصون بها ديني.

وعنه، قال: من استغنى بالله، افتقر الناس إليه[٤].

وعن سعيد بن المسيب، قال: ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٨٥.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر، ٤/ ٧٥، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٣٧، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٣٨.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٣٧، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٣٨، حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٨٥.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٣٨.

obeikandl.com

الله ﷻ، ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله[١].

وقال: ما تجارة أعجب إليَّ من البز، ما لم يقع فيه أَيمان[٢].

ذكر مرضه ووفاته:

عن يحيى بن سعيد، قال: دخلنا على سعيد نعوده ومعنا نافع بن جبير فقالت أم ولده: إنه لم يأكل منذ ثلاث فكلموه، فقال نافع بن جبير: إنك من أهل الدنيا ما دمت فيها، ولا بد لأهل الدنيا مما يصلحهم فلو أكلت شيئاً، قال: كيف يأكل من كان على مثل حالنا هذه، بضعة يذهب بها إلى النار أو إلى الجنة، فقال نافع: ادع الله أن يشفيك فإن الشيطان قد كان يغيظه مكانك من المسجد، قال: بل أخرجني الله تعالى من بينكم سالماً[٣].

قال عبد الرحمن بن حرملة: دخلت على سعيد بن المسيب وهو شديد المرض، وهو يصلي الظهر، وهو مستلق يومئ إيماء، فسمعته يقرأ: بـ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾.

وعنه قال: كنت مع ابن المسيب في جنازة، فقال رجل: استغفروا لها. فقال: ما يقول راجزهم! قد حرجت على أهلي أن يرجز معي راجز، وأن يقولوا: مات سعيد بن المسيب، حسبي من يقلبني إلى ربي، وأن يمشوا معي بمجمر، فإن أكن طيباً، فما عند الله أطيب من طيبهم.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٨٠.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٤١.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٢٨١، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ١٤١.

وعن سعيد بن المسيب، قال: أوصيت أهلي بثلاث: أن لا يتبعني راجز ولا نار، وأن يعجلوا بي، فإن يكن لي عند الله خير، فهو خير مما عندكم.

وعن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي، قال: اشتد وجع سعيد بن المسيب، فدخل عليه نافع بن جبير يعوده، فأغمي عليه، فقال نافع: وجهوه، ففعلوا، فأفاق، فقال: من أمركم أن تحولوا فراشي إلى القبلة، أنافع؟ قال: نعم. قال له سعيد: لئن لم أكن على القبلة والملة والله لا ينفعني توجيهكم فراشي.

وعن ابن أبي ذئب: عن أخيه المغيرة: أنه دخل مع أبيه على سعيد، وقد أغمي عليه، فوجه إلى القبلة، فلما أفاق، قال: من صنع بي هذا، ألست امرأً مسلماً؟ وجهي إلى الله حيث ما كنت.

وعن زرعة بن عبد الرحمن: قال سعيد بن المسيب: يا زرعة، إني أشهدك على ابني محمد لا يؤْذِنَنَّ بي أحداً، ـ لا يخبر بموتي أحداً ـ حسبي أربعة يحملوني إلى ربي.

وعن يحيى بن سعيد، قال: لما احتضر سعيد بن المسيب، ترك دنانير، فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أتركها إلا لأصون بها حسبي وديني.

وعن عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة: شهدت سعيد بن المسيب يوم مات سنة أربع وتسعين، فرأيت قبره قد رش عليه الماء، وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء؛ لكثرة من مات منهم فيها.

وقال الهيثم بن عدي: مات في سنة أربع وتسعين عدة فقهاء، منهم سعيد بن المسيب.

وقال أحمد بن حنبل: حدثنا حماد بن خالد الخياط: أن سعيد بن المسيب توفي سنة خمس وتسعين، والأول أصح.

وأما ما قال المدائني، وغيره من أنه توفي سنة خمس ومئة، فغلط[١].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٢٤٦.

obeikandl.com